

# عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العددان 68-69 / 16 آذار 2016





### في ذكرائها الخامسة... الثورة مستمرة

يحقّ لنا الاحتفال، هذا العام، بذكرى انطلاق الثورة بوصفها فاتحة اعتناق السوريين من الاستبداد والظلم... هذا وصفها على الدوام، ولكن سنواتٍ مرّت بدا فيها الألم أكبر من التفاؤل، وغموض الطريق يطغى على الضوء الشحيح البادي في آخر النفق الذي طال.

ولكن ما وافق ذكرى انتفاضتنا هذا العام يبعث على التفاؤل الجديّ بقرب الخلاص؛ فها هي المظاهرات تعمّ سوريا بمجرد إتاحة الفرصة لها في ظل الهدنة، وها هي القوّات الروسية الضاربة تغادر معسكر الأسد دون أن تحقّق تغييراً جوهرياً في مشهد السيطرة على الأرض، وها هو المجتمع الدوليّ يضع الانتقال السياسيّ للحكم على السكّة بصرامته ووضوحته. وأخيراً، ها هي داعش تتراجع في سوريا والعراق، وتفقد هالة القوّة التي قدّمت بها نفسها وأزاحت أبصار الكثيرين للأسف.

إنها فرصٌ كبيرةٌ أمامنا، لاستعادة النبض الأوّل لأهدافنا في الحرّية والكرامة ودولة القانون في مواجهة المستبدين بكلّ ألوانهم الأيديولوجية، ولاغتنام جولة المفاوضات الحالية التي يمثلنا فيها وفدٌ متماسك يجمع المعارضين السياسيين مع قادة الفصائل المقاتلة، في مواجهة وفدٍ كاريكاتيري كالعادة، ولكنه هذه المرّة بلا ظهر سوى قوّات الأسد المهلهلة وداعميها من الميليشيات الطائفية التي يضيق الخناق عليها إقليمياً يوماً بعد يوم.

ولنأمل أننا تعلمنا من دروس السنوات الثقيلة الماضية، وغادرنا الاعتداد الأجوف بالنفس ومعارفها المتواضعة، وبالفصيل وحجمه المحدود بالقياس إلى الوطن، لنبدأ مسيرة التوحّد والعمل الجماعيّ والتكامل، فالكثير الكثير من العمل ينتظرنا في سوريا الجديدة التي نأمل أن نراها هذا العام، والكثير أمامنا أيضاً حتى نصل إليها.

وفي غمرة هذا المشهد الكبير تحتفل هذه المجلة بأمرين: الأوّل هو دخولها عامها الرابع وقد أصرت أن تحافظ على انتمائها إلى الثورة وأهدافها وناسها رغم الصعاب والتقلبات العاصفة، والثاني هو المشاركة الرمزية لشبان شجعان من دير الزور لأهلهم في باقي سوريا باحتفالات الثورة، رغم الخطر الشديد في ظلّ الحكم الأسود لداعش، حيث كان يمكن أن تكلفهم هذه الصورة حياتهم بكلّ بساطة. مبروك لكل سوريا الحرّة رفع علمها بهذه الكثافة من جديد... ومبروك خاصّةً لدير الزور لرفعه فيها. وإذا كانت السرعة قد جعلت شريطه الأسود يعلو فزي ذلك دلالة على حال المدينة التي ستتحرّر قريباً وسيعلوها الأخضر بعد غياب.

13-10 إعلام داعش: من النجاح إلى بداية الانحسار

14 طريق الخوف: من الكسوة إلى الميادين

15 عن الرداءة التي تحكم العالم

19 جمعيات الأسد الخيرية في طرطوس

3 ريف حلب الشماليّ أكبر موجة نزوح منذ انطلاق الثورة

7-5 في الرقّة: عندما تقصف الطائرات الروسية فالخيار الأفضل أن

تكون في أحد مقرّات داعش!

9-8 أبو دجاجة الزر: قصّة صعود وهبوط مباحٍ محليّ

## ريف حلب الشمالي

## أكبر موجة نزوح منذ انطلاق الثورة

■ أحمد أبو زيد

تعرّضت له معظم مدن وبلدات ريف حلب الشمالي منتصف الشهر الماضي. وخلال فترة وجودي قرب الحدود السورية التركية قابلت عشرات العائلات التي تحاول الدخول إلى تركيا مثلي، إلا أن التشديد الكبير الذي تفرضه تركيا حال دون ذلك».

واعتبر عادل أن الأمر الأصعب بالنسبة إليه من قرار الخروج إلى تركيا هو العبور عن طريق المهربيين: «كل يوم كنا نشاهد عشرات السوريين يعودون مضرجين بدمائهم نتيجة تعرّضهم للضرب من عناصر الجندرمما التركية. كل ذلك بسبب جشع المهربيين وخداعهم للراغبين في العبور، وسط غياب الرقابة والراعد من الفصائل التي تسيطر في المنطقة».

## نازحو الدير حاضرون

بين النازحين على الحدود التركية عشرات العائلات الديرية التي نجحت في الهروب من مناطق سيطرة داعش إلى ريفي حلب وإدلب. ويروي أحدهم لـ«عين المدينة»: «قبل حوالي عشرين يوماً خرجت مع زوجتي وأختي وأطفالي الأربعة من مدينة دير الزور قاصداً ريف إدلب للدخول إلى تركيا. وبعد رحلة طويلة ومتعبة وصلنا إلى الحدود ونجحنا، بعد أربع محاولات، في الوصول إلى مدينة أنطاكيا. إلا أن الجندرمما التركية قبضت علينا وأعادتنا إلى سوريا».

وأضاف: «مجموع المبالغ التي دفعناها للمهربيين من الدير إلى ريف إدلب، ومنها إلى تركيا، أكثر من أربعة آلاف دولار. ورغم ذلك لم أتمكن من الوصول بأسرتي إلى مكان آمن».

يعاني نازحو ريف حلب الشمالي من ظروف صعبة في المخيمات المؤقتة التي أحدثت لهم قرب الحدود السورية التركية قبل حوالي شهر، بعدما شهدت مناطقهم أكبر موجة نزوح منذ انطلاق الثورة السورية، على خلفية استهداف الطيران الروسي للمنطقة بمئات الغارات الجوية التي تزامنت مع تحركات قوات الأسد وفصيل «جيش الثوار» التابع لقوات سوريا الديمقراطية».

لنستلم بطاقتنا. ومن هناك اتجهنا إلى مدينة عفرين ومنها إلى مدينة حلب، حيث قدم لنا أهل الخير منزلاً مفروشاً بأويننا».

## بين جشع المهربيين وقبضة الجندرمما

ومن جانب آخر حاول مئات النازحين عبور الحدود بطرق غير شرعية، وذلك بسبب إغلاق السلطات التركية كافة المعابر البرية منذ أكثر من عام، إلا أن التشديد الكبير الذي يفرضه الأتراك حال دون نجاحهم.

وقال المكتب الإعلامي في معبر «باب الهوى» بريف إدلب، في تصريح خاص لـ«عين المدينة»، إن السلطات التركية تعيد يومياً عشرات العائلات التي تدخل إلى تركيا بطرق غير شرعية إلى سوريا، بعد أن تحتجزهم لساعات. الأمر الذي أكدّه الصحفي وأهل عادل، مراسل قناة «الغد العربي» في حلب، الذي نجح في العبور إلى تركيا بعد 27 محاولة دخول فاشلة، في تصريح لـ«عين المدينة»: «اضطرت إلى النزوح مع أسرتي من مدينة حريتان نحو إحدى قرى ريف إدلب الحدودية، نتيجة القصف الروسي العنيف الذي

وبلغت أعداد النازحين قرب الحدود نحو 125 ألفاً، حسب إحصاء أجراه المكتب الإغاثي في معبر «باب السلامة»، منهم حوالي 25 ألف نازح يقيمون في مخيم مؤقت أحدثته هيئة الإغاثة التركية IHH داخل المعبر الحدودي، في حين يعيش 100 ألف آخرون في مساكن مؤقتة وخيم في البلدات والقرى القريبة من المعبر وسط غياب المرافق العامة والخدمات، الأمر الذي دفع الكثيرين إلى النزوح العكسي مرة أخرى.

## «جيش الثوار» يصادر الممتلكات

حاولت بعض العائلات العودة إلى قراها التي سيطر عليها فصيل «جيش الثوار»، لتفاجأ بأن القرى أصبحت خاوية على عروشها، بعد أن قامت الميليشيات الكردية التي دخلت مع «جيش الثوار» بنقل معظم الممتلكات العامة والخاصة إلى البلدات الكردية.

وقال أحد سكان بلدة منغ، فضل عدم ذكر اسمه، في تصريح لـ«عين المدينة»: «لم نحتمل العيش في المخيمات فقررنا أن نعود إلى منازلنا التي اضطرننا إلى تركها نتيجة القصف الروسي العنيف، خاصة بعد أن أصدر جيش الثوار بياناً أكد فيه أنه سيسمح لنا بالعودة إلى قرانا. ولكن عندما حاولنا الوصول إليها منعونا بحجة أن المنطقة لا تزال عسكرية وغير آمنة، حسب ما قال عناصر الحاجز في مدخل البلدة». وأضاف: «حاولنا إقناع عناصر الحاجز أننا نريد فقط أخذ بعض ملابس الأطفال من المنزل، وحينها سمحوا لنا بالدخول بعد أن أخذوا بطاقتنا الشخصية، وأكدوا أنه يجب علينا العودة بعد نصف ساعة لاستلامها. عندما وصلنا إلى منزلنا لم نجد فيه سوى بعض الأثاث الخشبي، ولم نجد أي قطعة كهربائية. جمعنا بعض الملابس والأغطية وعدنا إلى الحاجز



قرب الحدود التركية - خاص عين المدينة

## أطباء تحت القصف

■ مريم أحمد

نقص في الأدوية، افتقار إلى الأجهزة، نزيه دائم في الكوادر الطبية والمختصين، نقص في الخبرات، غياب العمل المؤسساتي، ضعف الدعم، ملاحقة النظام وحلفائه والاستهداف الدائم للمشايخ؛ كلمات قليلة تلخص الواقع الطبي في الأراضي المحررة من سورية.

وتواجه المستشفيات تحديات كبيرة أخرى في ظلّ النقص الحاد في الكوادر الطبية، ونقص الخبرة وعدم تأهيل كثير من العاملين في القطاع الطبي. فالنات من الأطباء تركوا البلد بحثاً عن الأمان والاستقرار في بلدان اللجوء، وبعضهم قضى تحت الأنقاض أثناء تأديته عمله الإنساني، والبعض الآخر اعتقل على يد قوات النظام، وأبرزهم محمد عرب مجهول المصير حتى الآن والذي أصبح رمزاً لأطباء الثورة. إن كل ما سبق من هجرة واختفاء قسري واستشهاد كانت أسباباً وضعت الكوادر الطبية القليلة أمام تحد كبير للبقاء والاستمرار في مساعدة الناس. وقد ذكر الدكتور أحمد لـ «عين المدينة» أن المشفى الذي يعمل فيه، والذي يخدم أكثر من 700 ألف نسمة في منطقة تعيش حالة حرب وقصف دائم، لا يوجد فيه سوى جراحين اثنين. وهذا عدد ضئيل جداً مقارنة مع المناطق التي يخدمها والحرب التي يعيشها الشمال السوري، مما يجعل عبء المسؤولية على عاتق هذين الجراحين كبيراً جداً. وبالرغم من ذلك يحاولان أن يكون غالبية وقتهما للمشفى، فلا ساعات راحة لديهم. ومن العوائق الكبيرة التي تواجهها الفرق الطبية الحاجة الملحة إلى الاختصاصيين والكوادر المدربة. وقد أفسح النقص الحاصل المجال أمام الأطباء غير المختصين، وطلبة الطب الذين لم ينهوا دراستهم بعد، للعمل في تلك المستشفيات، ما أدى إلى أخطاء قاتلة في بعض الأحيان. ناهيك عن النقص الحاد في المعدات الطبية مثل غرف الإنعاش، وأجهزة الأوكسجين الصناعي، وأسرة المرضى، والأدوية بعد أن قصفت غالبية مصانعها في محافظة حلب التي كانت تحوي عدداً كبيراً من معامل الدواء.

الدكتور أنس الخطيب، أحد الأطباء الذين أصروا على البقاء ومساعدة الجرحى بالرغم من الظروف القاهرة، حدثنا قائلاً: «في بعض الأحيان تصل إلى المشفى عشرات الحالات في الوقت نفسه نتيجة القصف، فنقف عاجزين بمن نبدأ... الجميع يحتاج إلى إسعاف سريع. مما يضطر الممرضين، في بعض الأحيان، إلى أن يقوموا بعمل الطبيب الجراح بفتح بطن أو خياطة جرح».

زادت بوضوح، في الأشهر الأخيرة، وتيرة استهداف طيران النظام وحليفه الروسي، وبشكل ممنهج، المستشفيات في المناطق المحررة. مما وضع الأطباء العاملين في تلك المشايخ أمام تحد كبير للاستمرار رغم أنهم فقدوا الكثير من زملائهم وأمام أعينهم خلال تأدية واجبهم الإنساني. وكان من أبرز هذه المجازر ما حدث في شباط الماضي عندما استهدف الطيران الروسي مشفى منظمة «أطباء بلا حدود» في ريف إدلب الجنوبي بعدد من الغارات راح ضحيتها 9 من العاملين في المشفى وحوالي 15 من المرضى والمدنيين، وعشرات الجرحى.

ويقول الدكتور أحمد حاج علي، العامل في أحد مشايخ ريف إدلب: «تعتبر المستشفيات أهدافاً مشروعاً بالنسبة إلى طيران النظام والطيران الروسي. سبق وتعرض مشفى دركوش الميداني لقصف من طائرات النظام ومدفعيته عدة مرات».



يواصل النظام وحلفاؤه قصف المستشفيات وسيارات الإسعاف وسط صمت عالمي وتحد كبير لقرارات الأمم المتحدة التي تنص على عدم استهداف المراكز الطبية. وعن ذلك نشرت منظمة العفو الدولية مؤخراً تقريراً وثقت فيه انتهاكات الطيران الروسي-السوري في حق المستشفيات والعيادات في ريف حلب الشمالي خلال الأشهر الثلاثة الماضية. وقد جمعت المنظمة 6 أدلة مقنعة عن قصف متعمد وممنهج للمستشفيات والمراكز الطبية خلال الفترة بين كانون الأول 2015 وشباط 2016. وحصلت المنظمة على شهادات تتحدث عن استهداف ما لا يقل عن 27 مشفى، ستة منها في ريف حلب، تعرضت للقصف الروسي الذي أدى إلى استشهاد وجرح العشرات من الكوادر الطبية. واعتبرت المنظمة أن هذا العمل العدواني يرقى إلى مستوى جرائم الحرب. وقال مدير الاستجابة للأزمات في منظمة العفو الدولية، تيرانا حسن: «الأمر الشنيع حقاً هو أنه يبدو أن إبادة تلك المستشفيات أصبحت جزءاً من استراتيجيتهم العسكرية». فمن الملاحظ أن نظام الأسد يتبع، بالتنسيق مع حليفه الروسي، سياسة استهداف مشايخ المناطق المحررة بمن فيها من كوادر طبية ومرضى.



ريف إدلب الغربي - خاص عين المدينة



بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب - الرقة - أيلول 2013. صورة هالة قضماني

## في الرقة:

### عندما تقصف الطائرات الروسية فالخيار الأفضل أن تكون في أحد مقرات داعش!

■ أحمد مهدي

«لما طيران التحالف يقصف ناخذ بزر وشاي ونطلع عالسطح ندخن»، هكذا وصفت مها اطمئنان أهالي الرقة إلى دقة غارات التحالف الدولي. الناشط الرقاوي أحمد الحاج صالح، ابن أخ مها والذي روى القصة، يقول إن ابن عمته وحفيديها قضاوا لاحقاً بشظايا أصيبوا بها إثر استهداف التحالف سيارة أحد عناصر تنظيم الدولة الإسلامية في حي سيف الدولة في المدينة، أما مها نفسها فقد قتلت بغارة جوية روسية.

ليست هناك إحصائية رسمية لعدد سكان مدينة الرقة الآن، لكن نشطاء يقدرونه بأكثر من ستمائة ألف نسمة، ربعهم تقريباً من النازحين من مدن أخرى. في الأصل يعمل قسم كبير من أهالي الرقة موظفين في الدوائر الحكومية، ولفترة طويلة بعد سيطرة التنظيم كانوا يتوجهون إلى مدن خاضعة لسيطرة النظام لاستلام رواتبهم، حتى منع التنظيم السفر إلى هناك إلا للحالات الصحية الموثقة أو بغرض التجارة التي تأثرت هي الأخرى. أبو علي (41 عاماً) تاجر قطع تبديل سيارات، يقول إن سوق المدينة يشهد اضطراباً في الأشهر الأخيرة بسبب ضربات الجوية الروسية؛ فهناك الهلع الذي يلقي بظلاله على الزبائن من محيط الرقة ويمنعهم

أحمد إلى البحث عن مكان يتابع فيه علاج ابنه، فتوجه إلى المشفى الوطني في مدينة الطبقة التي تخضع لسيطرة التنظيم أيضاً. أخبر القائمون على المشفى الأب أن جناح غسيل الكلية في المشفى مكتظ (الأسعار رمزية لكن الخدمات مخصصة لعناصر التنظيم وذويهم)، ولا توجد كمية كافية من المواد الخاصة بعملية الغسيل، ولذا عليه أن يدفع 80 دولاراً للجلسة الواحدة. كان أحمد يحتاج إلى غسل كليتيه مرة كل ثلاثة أيام، ولا يستطيع أبوه دفع هذا المبلغ، فالدخل المتوسط في سوريا الآن أقل من دولارين يومياً. لم يبق أمام العائلة إلا مغادرة الرقة إلى مناطق سيطرة النظام أو إلى تركيا، وهما خياران ليس لديها المال الكلي لفعلهما. في كانون الأول مات أحمد.

تبعد مدينة الرقة 200 كم شرق مدينة حلب، على ضفة نهر الفرات. سيطر عليها تنظيم داعش في مطلع 2014. وهي تعيش أوضاعاً أسوأ من السابق في الأشهر الأخيرة بسبب استهداف الطيران الروسي المدنيين مراراً. وبعد تشرين الثاني الماضي ذروة القصف على المدينة، ففيه حصل تدمير للبنى التحتية بشكل بدا للكثيرين متمعداً، كما حدث للمشفى الوطني. لمدة طويلة استطاع والد أحمد (13 عاماً) أن يتدبر أمر علاج ابنه المصاب بمرض الفشل الكلوي في المشفى الوطني، وهو مشفى حكومي يسيّره التنظيم بعد أن سيطر على الرقة، خرج عن الخدمة في 4 تشرين الثاني الماضي جراء استهدافه بعدة غارات من الطيران الروسي. الأمر الذي اضطّر أبو

# تحرير



«Libération»  
spécial

## LE QUOTIDIEN DES SYRIENS

Un numéro entièrement rédigé  
par des journalistes, intellectuels  
et artistes syriens, qui racontent  
un pays en guerre depuis cinq ans.

Loi travail, Vincent Lambert... l'actu en cahier central

De la voiture à hydrogène aux primaires américaines, retrouvez le reste de l'actualité du jour pages à XII et sur www.liberation.fr

IMPRIMERIE EN FRANCE / PRINTED IN FRANCE Allemagne 2,90 € - Andorre 2,90 € - Autriche 3,00 € - Belgique 3,00 € - Canada 5,00 € - Danemark 29 kr. - Espagne 2,90 € - États-Unis 5,00 € - France 2,00 € - Grèce 2,90 € - Irlande 2,90 € - Italie 2,90 € - Japon 3,90 € - Liban 2,90 € - Maroc 20 dir. - Mexique 29 kr. - Pays-Bas 2,90 € - Portugal 3,20 € - Royaume-Uni 2,90 € - Suisse 3,40 CHF - Tunisie 2,00 DT - Zone CEE 2,90 €

من التبضع لأيام، إلى جانب إخراج الضربات الروسية جسر الرشيدي والمنصور (جسران على نهر الفرات يربطان مدينة الرقة بريفها وبالبادية السورية) الحيويين من الخدمة في تشرين الثاني الماضي، مما زاد المسافة التي تقطعها السيارات المحملة بالخضروات 75 كم، ورفع أسعارها إلى الضعف. وكان لاستهداف الروس الشمال السوري أثر كبير في انقطاع بعض المواد الأساسية من السوق، كمادة السكر، وارتفاع أسعار المواد الأخرى التي يشتريها التجار من هناك.

«كان طيران التحالف يجوب سماء الرقة بشكل شبه يومي، لكن إصاباته للتنظيم أدق. ولذلك كانت القاعدة التي يتداولها الناس: إذا كنت تريد أن تبقى على قيد الحياة عليك بالابتعاد عن الدواش ومقراتهم. أما بعد استهداف الروس المدينة فأنت مهدد بالموت في البيت، في السوق، في أي مكان»، هكذا يلخص طالب سابق في كلية الاقتصاد يدعى محمد (24 سنة) الخوف الذي يعيشه سكان مدينته. ويكمل ضاحكاً: «ربما من الأفضل أن تكون في أحد مقرات التنظيم أثناء غارات الروس، إذ إنهم يستهدفون المدنيين دون التنظيم»

يميز الحاج صالح بين الأهداف الكلاسيكية، كالفرقة 17 وشركة الكهرباء، التي قصفتها التحالف عشرات المرات دون أي منطق، فالتنظيم أخلاها منذ استهدافها للمرة الأولى، وبين ضربات التحالف النوعية في الأشهر الأخيرة، عندما أخذت طائراته باستهداف قادة التنظيم من خلال تتبع سياراتهم، ما أدى إلى مقتل عدد منهم. فقد نقل ناشطون إعلاميون خبر مقتل الأمير العسكري لولاية الرقة هيثم الحسين، الملقب أبو عمار البغليية، في كانون الأول الماضي، إثر غارة للتحالف على السيارة التي كانت تقله، وكذلك أمير المكتب الأمني في الولاية، والجهادي جون منفذ عمليات الإعدام في حق الرهائن الأجانب.

قبل دخول الطيران الروسي، في أواخر أيلول الماضي، تأثرت الخدمات في المدينة بظروف الحرب وبسوء إدارة التنظيم. فصي ظل استهداف التحالف حقول النفط والصحاريج التي تنقله، تأثرت عمليات بيعه التي يعتمد التنظيم عليها بشكل أساسي في تمويله، فحاول تعويض النقص بعدة طرق انعكست على سكان المناطق التي يسيطر عليها. فبحسب أبو علي (46 عاماً)، أحد عمال مؤسسة المياه الحكومية التي انتقلت إلى إدارة التنظيم، خفض الأخير مخصصات

على عمل الحسبة في فترة اعتقاله عما سبقها. فقد صار المعتقل لديها يدفع غراماً تتراوح بين (3-20) دولاراً، بحسب نوع المخالفة، في حين كانت تجبر الذين تعتقلهم بسبب تهم متعلقة بالقانون الذي يفرضه التنظيم -كترك صلاة الجماعة أو التدخين أو مخالفة اللباس المقبول لديه- على حفظ مبادئ وأفكار التنظيم في سجونها وتبث أمامهم إصداراته.

اعتقلت الحسبة عمار (27 عاماً) بالقرب من منزله بسبب حلاقته لذقنه، يقول: «اقتادني دورية الحسبة إلى مقرها في المدينة. وبعد أن سجلوا اسمي وأخذوا هاتفي المحمول وضعوني في السجن الذي يديره شخص يسمى أبو زيد. في تلك الأثناء أغار التحالف على أحد مقرات التنظيم مما جعل عناصره في مقر الحسبة في حالة من الارتباك الهستيري. أخرجونا من السجن إلى باحة المقر وانهاوا علينا ضرباً بالعصي. كنا 17 شخصاً من مختلف الأعمار. وكان أبو زيد يصيح: «مبسوطين!! مبسوطين بالتحالف!!»، كرهت التحالف

المحطة من المازوت اللازم لتشغيلها لضخ المياه إلى الأحياء السكنية. وقد تولى الهلال الأحمر السوري تأمين مواد تعقيم المياه لمحطات التصفية لمدة بسيطة قبل أن يمنع التنظيم هذه المنظمة -هي الأخرى- من العمل في مناطقه، وتحوّل إلى ضخ المياه دون أي تعقيم. يقول حسن (24 عاماً)، وهو طالب سابق في كلية الطب البشري: «تستقبل المشاي بشكل مستمر حالات لمرض الكوليرا وغيره من أمراض الجهاز الهضمي بسبب المياه الملوثة». يعمل حسن على توثيق هذه الحالات مع مجموعة من أصدقائه.

يرى الكثير من أبناء الرقة أن التنظيم يمر بضائقة مادية، ولذلك صار يزيد من الضرائب والغرامات. فقد أصدر قراراً يقضي بدفع الأهالي مبلغاً يتراوح بين (5-12) دولاراً مقابل الماء والكهرباء والهاتف، بعد أن كان الدفع محصوراً بالمحال التجارية فقط. سعيد (29 عاماً) طبيب أسنان اعتقلته دورية الحسبة في تشرين الأول الماضي لوجوده في الشارع أثناء وقت الصلاة، يقول إن الكثير من التغيير طرأ



غارات التحالف مقرّات التنظيم في المدينة وريفها مما اضطرّه إلى نقل معسكرات تدريب مقاتليه إلى داخل المدينة، وكذلك تغيير أكنة مقرّاته الأمنية فيها مرّات عديدة. اضطرّ خالد إلى البحث عن طريقة للخروج برفقة عائلته إلى تركيا: «غادرنا الرقّة ظهراً. كنا نخبر حواجز التنظيم أننا ذاهبون إلى مدينة الباب، إحدى مدن ريف حلب الشرقي التي يسيطر عليها التنظيم. وعند وصولنا إلى الباب كان علينا الانتظار حتى حلول الظلام لتقوم سيارات أخرى بنقلنا، مع مجموعة من العوائل، إلى منطقة بالقرب من قرية حربل في الريف الشرقي لحلب، وهي منطقة اشتباك بين داعش والجيش الحرّ. طلب منا المهربون المشي لمسافة 10 كم، ثم الانتظار لسّات ساعات حتى الصباح لنعبر إلى المنطقة الخاضعة للمستمرّة. شاهدنا عدداً من الجثث في طريقنا إلى الطرف الآخر، يقول المهربون إنها جثث مدنيين قضاوا بسبب زرع التنظيم الألغام في الطريق». يرى خالد أن منع التنظيم الأهالي من الخروج من مناطقه هو محاولة منه للاحتماء بهم ضدّ أيّ هجوم محتمل، مما يجعل تحرير الرقّة أمراً صعباً.

كان ذلك منذ خمسة أشهر، حين داهمت إحدى دوريات التنظيم المقهى واحتجزت أجهزة الهاتف المحمول الخاصّة برؤاده لتفتيشها. لحسن حظي كنت أتحدث مع أخي الذي يعمل في الخليج عبر الوتس أب، عكس صديقي ناصر الذي كان يتحدث مع حبيبته في تركيا. انهال عناصر الدورية ضرباً على ناصر واعتقلوه. ظلت عائلته تذهب يومياً إلى مقرّ الحسبة والمحكمة الإسلامية للسؤال عن مصيره، دون جدوى. بعد عشرة أيام وُضع في قفص حديدي في السوق من الصّباح حتى المساء، وفي اليوم التالي جُلد بتهمة الزنا».

كان خالد (32 عاماً) معلماً في دير الزور قبل أن يدرجه النظام السوري على قوائم المطلوبين بسبب نشاطه الإغاثي في السنة الأولى من التحركات الاحتجاجية، ما اضطرّه إلى النزوح إلى الرقّة والاستقرار فيها. أخرجه التنظيم مؤخراً من المنزل الذي استأجره طيلة الأعوام الثلاثة الماضية لأن صاحبه يعمل في الخليج. يقول خالد إن حالة الخوف التي يعيشها عناصر التنظيم بسبب استهداف التحالف لهم تجعلهم في بحث دائم عن سكن بين المدنيين لمعرفةهم أن التحالف يتجنّب قصفهم. استهدفت

وأنا أتلقى الضرب في تلك اللحظات. في اليوم التالي أخرجوني بعد أن دفعت 3500 ليرة كغرامة».

كان لهزائم داعش في العراق أثرٌ واضحٌ في الرقّة، إذ بدأ المهاجرون الذين كانت تزدهم بهم شوارعها بالمغادرة إلى الموصل. يقول عامر (35 عاماً) ويعمل في بيع الأقمشة: «كنا نرى المهاجرين وعوائلهم في كلّ مكان، إلى درجةٍ أشعرتني أنني غريبٌ في مدينتي. لكن بعد خروج سنجار عن سيطرة التنظيم قلت أعداد المهاجرين بشكل كبير، فقد كانت في حيننا عشرات العوائل من جنسياتٍ مختلفة، كلهم هربوا باتجاه الموصل في الفترات الماضية». لكن هذه الهزائم انعكست مزيداً من التضييق على الأهالي، فبعد أن كان الإنترنت متوافراً للجميع، عبر أجهزة بث تملكها مقاهي الإنترنت ويشترك عبرها الأهالي، أصدر التنظيم قراراتٍ بإلغاء البث إلى خارج المقاهي التي حصرها أيضاً بتلك التي يملكها أشخاصٌ مقربون منه لتسهيل عليه مراقبة رؤاها، وأغلق المقاهي الأخرى. يقول عمر (18 عاماً): «لا زلت أذكر آخر مرّة دخلت فيها إلى أحد مقاهي الإنترنت في الرقّة قبل أن أنتقل وعائلتي إلى إدلب».

\* أسهمت «عين المدينة» بهذه المادّة في عددٍ خاصّ عن سورية من جريدة ليبراسيون الفرنسية، صدر في 11 آذار الجاري. كلّ الشكر للدكتورة هالة قزمانني محرّرة العدد على هذه المبادرة وعلى جهودها.

# أبو دجانة الزرّ

## قصة صعود وهبوط مباحٍ محليّ

علي خطاب



أبو دجانة على اليمين

ربما كانت صحيحة قصة بيعته أبي دجانة الزرّ لأبي بكر البغداديّ شخصياً باليد في حلب، عام 2013، تلك التي طالما تفاخر بها أمام أقرانه. لكنها، وقد عنت له الكثير، لم تؤثر في والده الذي ظلّ يحضر اجتماعات مجلس المحافظة كعضو حتى توقف عمل المجلس نهائياً بسبب سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، الأمر الذي أسهم فيه أبو دجانة بشكل كبير، كأحد أبرز المباحين المحليين.

البعض، بينما يردّد آخرون أن محكمة لاهاي أرسلت مذكرة اعتقال في حقه إلى مختار قريته!

ولكن هذه الحادثة، والتصفيات التي نفذها قبلها وبعدها، كما فعل في حق امرأة شاردة في المقبرة؛ لم تؤثر جدّاً على سمعته وقتها كمقاتل منضبط وجريء ونزيه، عمل على حفر أول نفق في المدينة للتسلل إلى مواقع قوات النظام، وكان لا يتدخل في السياسة أو في تسيير الحياة اليومية للأهالي، وظلّ بعيداً عن تجاذبات التيارات الثورية المسلحة، لكن إلى حين. ففي نهاية 2012 يظهر في مقطع فيديو ليعلن انضمام كتيبته «عز الدين القسام» إلى لواء الأحواز العربية التابع للمجلس الثوري العسكري، بسبب الحاجة إلى الذخيرة كما يقول ناشطون، يضيف أحدهم أن العبيد لجأ إلى الأحواز بعد إصابة أخيه (الجنرال)، مسؤول التخدير في المجلس العسكري.

المخزرة من الطائفة العلوية الصهيونية». في وقت قريب من تلك الفترة نفذ أحمد أول عملية قطع رأس في مدينة دير الزور في حق شخصين قيل إنهما ضابطان في التدريب الجامعي، بعد مدة من استقراره - بصحبة مجموعة مقاتلين من قريته - في حيّ العمال بالمدينة، حيث تملك عائلته بيتاً سكنت فيه لفترات متقطعة، بحسب أحد جيرانه.

تداول «ناشطون مديون» مقطع إعدام «الضابطين» بفخر بينما رفضه ناشطون كثير. وفيه يظهر أبو دجانة يعطي الساطور لطفل صغير ليقتلهما انتقاماً لذويه. على أن الرفض لم يقف عند الناشطين بل تعداه إلى المقاتلين أنفسهم، فقد ترك بعضهم القتال إلى جانب أبي دجانة بسبب تلك الحادثة التي أضافت إلى شخصيته أبعاداً أخرى، فجعلت من التهاب الأذن الدهليزي الذي يعاني منه صرعاً أصابه بسبب عملية الذبح، كما يقول

تخرّج أحمد العبيد (أبو دجانة) في معهد متوسط. وعمل، قبل الثورة، موظفاً في محطة المياه في قريته. بدأ ظهوره الإعلامي في أيلول 2012، ولم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين وقتها، عبر سلسلة من مقاطع الفيديو التي صورها في قريته الزرّ إثر استهدافها من طيران النظام، حاول فيها مواكبة الحدث على أكثر من مستوى. فظهر في أحدها يرتدي بزة عسكرية برتية ملازم، يتجول في بناء متضرر وحوله أطفال يحملون الشظايا (يصفهم بأشبال الحرية)، ويتكلم عن استهداف النظام لبيوت المدنيين بلغة عربية مكسرة يبدو واثقاً منها: «كيف تدمرو البيوت الأعزّلين»، كما يظهر في مقطع آخر يتحدث إلى مجندين أسيرين من أحد حواجز الحسكة، بحسب ما يذكر في المقطع الذي يدعوه فيه «الجنود السنّة» إلى الانشقاق قبل أن تفوتهم «ساعة الصفر» وتقتلون - يستدرّك - تؤسرون مثل الخنازير





أبو دجانة الزر

وفي ذلك الفيديو يبدو أبو دجانة ملتزماً أكثر بالصورة التي يحاول تصديرها عن نفسه، فهو أكثر هدوءاً حين يقرأ البيان من لابتوب أمامه، يلبس الفلد العسكري الخاكي ويضع عمامة سوداء على رأسه، ويتلو الآيات القرآنية بنبرة متأثرة بلهجة أهل الخليج العربي حيث قضى جزءاً من طفولته بسبب عمل والده، بحسب مقربين منه.

يرى البعض أن أحمد العبيد بايع جبهة النصرة بتأثير من القيادي المحلي عامر الرفدان (قتل في غارة للتحالف في أيلول 2015)، ثم انتقل معه إلى التنظيم. والمؤكد أنه بدأ بإيواء المهاجرين في العام 2013، في وقت ساد فيه الهدوء النسبي في دير الزور وتحولت قوات النظام من الهجوم إلى الدفاع، ما دفع بالمزيد من المقاتلين إلى المدينة حيث حاول الزر -مع قادة آخرين وكل على حدة- تنظيم شؤون المقاتلين، فأقاموا -إلى جانب أشياء أخرى- حاجزاً يمنع إخراج السلاح من قطاعاتهم، الأمر الذي أضاف عداوات ستظهر في ما بعد. ومع صعود نجم النصرة في منتصف تلك السنة بدأت خلايا تنظيم الدولة بالظهور، وشاركت في معارك أب في المدينة، إذ اتخذ بعض عناصرها حي الحويقة الخاضع للنصرة مكاناً له، واختار البعض الآخر حي العمال في كنف كتيبة عز الدين القسام. لتفتتح بعدها محكمة إسلامية في الحي، وتخصص مهاجرين لحراسة مقر الزر الذي وضع راية العقاب أمامه وغير طريقة تعامله مع الوسط المحيط به، كما يفيد مقاتلون سابقون من الجيش الحر.

في خضم الصراع الكامن نهاية 2013 بين «أحفاد الرسول» و«أحرار الشام» من جهة وتنظيم الدولة من جهة أخرى، وقد بدأ الأخير -بمساعدة النصرة ولواء العباس- باعتقال المقاتلين بتهم الفساد ولكن لأسباب تتعلق ببسط نفوذه في الحقيقة؛ تدخل تجمع عبد الله بن الزبير، وقد تضايق عناصره من إجراءات أبي دجانة ومهاجريه في وقت سابق، وبسبب نزاعات جانبية متعددة، فاستقدم فرقة عشائرية من الريف أجبرت التنظيم على الانسحاب من المدينة بعد أن فاوض عنه الزر الذي خرج عن أدبه وخجله المعروفين - في تناقض غريب مع دمويته - وراح يهدد الجميع مستقوياً بالتنظيم، ولكنه اختار الخروج معه والعودة بعد عدة أشهر كأحد القادة الميدانيين في معركة السيطرة على المدينة، ثم أميراً لقطاع العدنانين الممتد من نهر الفرات حتى الجبل شرقاً. وحينها أدخل عدداً كبيراً من أبناء قريته في

صفوف التنظيم، ولعل تسمية «الزرداحة» التي أطلقها الكثيرون على قرية الزر وقتها توضح إلى أي مدى وصل نفوذه في المدينة وتسلط أقربائه.

في هذه المرحلة ظهر أبو دجانة في أكثر من مقطع وقد تخلى نهائياً عن الفصحى وصار يتكلم بالمحكية التي تنوس بين لهجته الريفية والسعودية. يتوعد في أحدها النظام على جبل الشيخ (يصحح بقاسيون)! كما يتكلم في آخر عن طلبه مشاركة بلدة ذبيان في المعارك وكيف «رفعت رأسه». على أن الأهالي يتناقلون العديد من الأسباب التي جعلت (المشاركة -الفرعة) ليست تلبية له ولا إيماناً بأفكار التنظيم، لكن محاولات النصرة قيادة الريف اصطدمت بواقع انتماء عناصرها العشائري، الذي فهمه خصومهم اعتداءً على عشائريهم التي تغذي تيارات منافسة. يضاف إلى ذلك أن الفرعة جاءت للنجاة بالحد الأدنى من الخسائر والحصول على بعض المنافع المستقبلية، وإغلاق قضايا قديمة قد يفتحها التنظيم بعد سيطرته.

تحت لواء التنظيم قاد الزر العديد من المعارك ضد قوات النظام، خسرها جميعاً. وكانت أشهرها معركة الجبل التي سقط فيها ما يقارب الثمانين من المهاجمين، في نهاية 2014، إلى جانب وقوع الزر مغيباً عليه، بحسب أحد المسعفين الذين استقبلوه في المشفى. وقد اتهمه الكثير من الأهالي بالتواطؤ مع التنظيم لفتح المعركة بقصد التخلص من مقاتلي الجيش الحر الذين رفضوا مبايعته، والذين كانوا مرابطين على تلك الجبهة، بينما نظر إليه البعض كولدٍ أحرقت، وراه آخرون مؤمناً مندفعاً. بعدها أخذ يخبو نجم القائد الذي دفعه على ما يبدو «تاريخه العسكري» الذي راكمه من بعض الاشتباكات في حارات حي العمال والمعارك في الريف، حيث أثر الكثيرون السلامة، فراح يتطلع إلى أحد المناصب القيادية التي سبقه إليها الأدالبة من لواء داود.

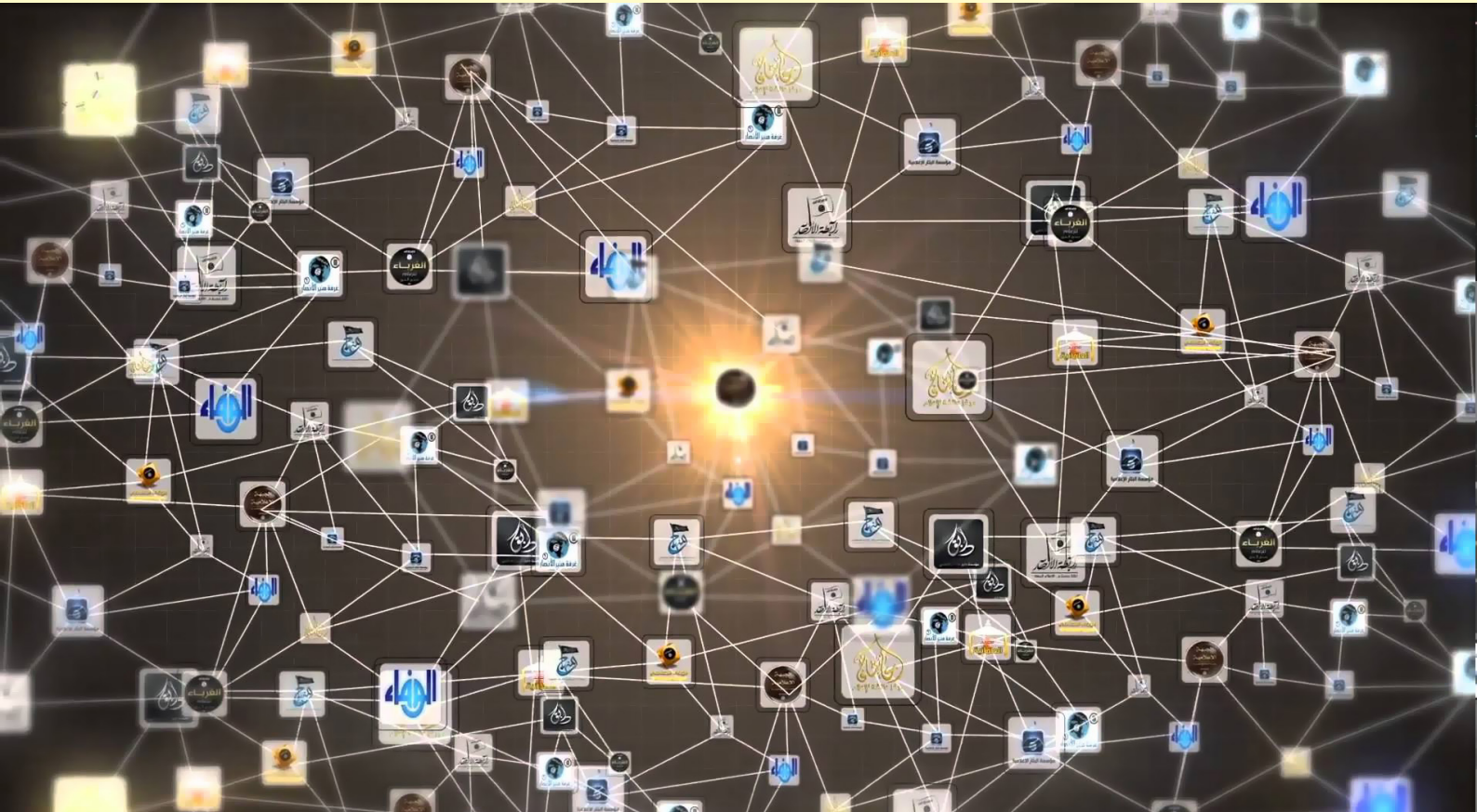
يقول أبو خالد، وهو مقاتل من الجيش الحر: «حس أبو دجانة أنه الوشان بس تهمش» أمام القادة الجدد؛ القائدين العسكريين أبو الأثير وأبو إسلام وأمير ديوان الخدمات أبو الطيب وآخرين من لواء داود، بدأوا بتصفيته نفوذه قبل أن يوضع تحت تصرف الوالي. يقول أبو خالد: «مرة أبو إسلام سحب سلاح حرس أبو دجانة وبهدلهم وما قدر يرد عليه». حاول الزر أن يزيح منافسيه لكن فشله في المعارك حال دون ذلك. ويضاف إلى ذلك أن المقاتلين من أبناء قريته، وبعد تعيينه في ديوان الركاز، صاروا يتهربون من القتال. وقد مهد أبو إسلام العسكري الطريق لهم فمنحهم الإجازات على هوامم لاستغلال ذلك ضد الزر، كما أفاد أحد المقاتلين الذي يضيف أن الأدالبة كانوا يتجسسون على أبي دجانة الذي قابلهم بالتجسس أيضاً.

في المقطع الذي يظهر فيه الزر مع شرعي من التنظيم لأخذ بيعة وجهاء عشائريين من منطقته، يتكلم أبرزهم مرتبكا ليقول باسم عشيرة أبي دجانة: «هو جابناع الدولة، ما نعرف شني السالفه هذي هي. ش اسوي؟» فيرد أحدهم ملطفاً الجوف: «هوشة عرب»، ويبدو أن التنظيم في حاجة اليوم إلى تلك الهوشة لتوظيف الامتداد العشائري لأبي دجانة، خاصة في ظل تقدم «قوات سوريا الديمقراطية» المرفوظة محلياً، فعينه والياً لولاية الخير (محافظة دير الزور باستثناء البوكمال)، رغم أنه دون «علم شرعي»، وهو الشرط المعتاد في ولاية التنظيم، كما يلاحظ إعلاميون.

على أن الحظ العاثر لحق أبا دجانة، فأصيب بعد توليه منصبه بمدة قصيرة مما استوجب عزله. وفي ظل الوالي الحالي، أبي خطاب العراقي، تولى أبو محمود الزر، الذي كان مجرد جلاله عند الأمنيين، ولاية المدينة. والأرجح أنه سيكون له، كما كان لابن قريته من قبل، شأن كبير في إراقة المزيد من الدماء، وتوريث المنطقة في نزاعات عشائرية إضافية ستمتد طويلاً.

# إعلام داعش... من الصعود إلى بداية الانحسار

تقرير خاص



منذ صعود تنظيم داعش إلى الواجهة صيف العام 2014، استحوذت آتته الإعلامية على اهتمام العالم بقدر ما شغلته الفضائح التي دشّن التنظيم بها حضوره وسيطرته على رقعة جغرافية كبيرة وإعلان دولته عليها. ومنذ ذلك الوقت لم يقتصر دور الإعلام الداعشي على تضخيم صورة التنظيم وإمكانياته وحسب، بل رافقت ذلك مهامٌ وظيفيةٌ تسويقيةٌ، تجلّت باستخدام تقنيات الصورة والصوت ووسائل التواصل الاجتماعيّ المتاحة بيسر، بغرض رفد قدرات التنظيم العسكرية والتنظيمية. لكن، في الأشهر الأخيرة، ظهرت العديد من المؤشرات على تراجع الأداء الإعلامي لداعش، تزامناً مع العديد من المتغيّرات التي طرأت على الساحة.

في المناطق الخاضعة حديثاً لسيطرة التنظيم، أو تلك التي يحاول السيطرة عليها.

- استقطاب خبرات عددٍ من كوادر «الجهاد الإلكتروني» لتنظيم القاعدة حول العالم، بعد الخلاف «العلني» بين المنظمين.
- توافر كوادر تتولى عمليات التصوير والمونتاج والإخراج والتصميم، فضلاً عن التسويق الإلكتروني.
- توافر الملاذات الآمنة والإمكانات لعناصر التنظيم وكوادره بعد السيطرة على عدة مدنٍ كبيرةٍ أبرزها الموصل والرقّة، وما أمّنته من «غنائم تقنية».
- بناءً على ذلك ظهرت نتائج هذه الإمكانيات الجديدة على عدة مستويات:

## صورة داعش في أوجها

- لم تمض ساعاتٌ على ظهور الناطق باسم التنظيم، أبي محمد العبداني، في إصدار مصوّر أعلن فيه إزالة الحدود العراقية السورية؛ حتى بثّ التنظيم تسجيلاً صوتياً للعبدانيّ ذاته يعلن قيام الخلافة ومبايعة أبي بكر البغداديّ الذي ظهر للمرّة الأولى بعد أيامٍ خطيباً في جامع الموصل الكبير. في هذه الفترة، وفي الأشهر الستة التي تلتها، عملت آلة التنظيم الإعلامية بطاقتها القصوى، مستفيدة من خمسة عوامل رئيسية لم تكن موجودة قبل أشهر قليلة:
- توافر المواد القابلة للاستثمار الإعلامي بفعل «الانتصارات» المتتالية على الجبهات العراقية والسورية.
- اهتمام الإعلام الدولي والمحليّ بمجريات الأحداث

## المستوى التنظيمي

بعد تقسيم المناطق الخاضعة لسيطرته إلى ولايات، أنشأ التنظيم في كل منها مكتباً إعلامياً خصص له مصورين وفنيين من منتسبيه، بحسب أهمية الولاية واحتياجاتها. وترجع التقديرات خضوع هؤلاء لدورات على يد كادر مركزي يتبع «وزارة الإعلام» التي رُفدت بأحد محترفي صناعة الهوية البصرية، وفق ما تشير غالبية إنتاجات التنظيم الإعلامية في تلك الفترة، والتي تشترك في قالب فني متقارب لم يكن موجوداً في الإصدارات التي ظهرت قبل أشهر قليلة. كما تم ربط المكاتب الإعلامية بوزارة إعلام التنظيم التي تعدّ «مؤسّسة» الفرقان - المعتمدة في إخراج ونشر كلمات وإصدارات قادة التنظيم الكبار منذ إنشائها في العام 2006 في العراق وحتى الآن - نواتها المركزية. وتتلخص مهام المكاتب الإعلامية للولايات بتقديم تقارير فوتوغرافية وفيديوهات عن النشاط العسكري و«المدني» للتنظيم، ونشر هذه المواد والأخبار عبر صفحات الولايات على شبكات التواصل الاجتماعي. كما يشرف مسؤولو المكاتب على النقاط الإعلامية في الولايات، والتي تروّج إصدارات التنظيم المصوّرة عبر شاشة عرض وتوزع المطويات والنشرات، وتحمل الأناشيد والفيديوهات على أجهزة الراغبين الخليوية عن طريق موظف متعاقد في كل نقطة. كما تتولى وزارة الإعلام مراقبة إذاعة «البيان» التي بدأت بثها لعدة ساعات على الموجة القصيرة في الموصل والرقّة وعلى الإنترنت. ويضاف إلى ذلك الإشراف على المؤسسات الإعلامية الرسمية والمناصرة والتنسيق بينها. إذ منذ دخول التنظيم إلى سوريا ظهرت مؤسّسات «الحياة» و«الاعتصام» المسؤولتان، إلى جانب «الفرقان» والمكاتب الإعلامية للولايات، عن ما نسبته 95% من إصدارات التنظيم المرئية والمسموعة والمكتوبة حتى أواخر العام 2014.

## الوظيفة

لم تنحصر استفادة داعش من تنظيم القاعدة باستقطاب الكوادر وحسب، وإنما اتبع التنظيم الاستراتيجية ذاتها التي كان يتبعها التنظيم الأم، عبر استخدام المواد الإعلامية لأغراض التجنيد والإرهاب النفسي الخارجيين والداخليين، مطوّراً العمل التقني والمواد الدعائية والإعلامية التي تخاطب غير العرب، أو ذوي الأصول العربية في «الغرب». وهو ما كان يتولاه مركز «الفجر» التابع للقاعدة، الذي أصدر في عام 2006 مجلة متخصصة بتعليم المونتاج والتهكير وإنشاء المواقع وطرق النشر حملت اسم «المجاهد التقني»، فضلاً عن تخصصه بترجمة إصدارات ومنشورات القاعدة على الإنترنت إلى ما لا يقل عن سبع لغات بغرض استقطاب المزيد من المهاجرين. ومع الأيام الأولى لل«خلافة» ظهرت مجلة «دابق»، الصادرة عن مؤسّسة الحياة التي استحدثت مؤخراً. فيما بدأت الإصدارات المصوّرة المترجمة والناطقّة باللغات الأخرى تتوالى، وصولاً إلى ظهور دواعش من جنسيات غربية يتحدثون بلغات بلدانهم ويخاطبون حكوماتهم وينفذون عمليات قطع رؤوس، كجزء أساسي من دعاية التنظيم الترغيبية والترهيبية، وكوسيلة ناجعة للتميّز عن باقي المنظمات الإرهابية المعاصرة.

## المحتوى

في وقت كانت فيه حقيقة التنظيم لا تزال ملتبسة بالنسبة إلى الكثيرين، دشنت داعش خلافتها بنشر الجزء الرابع من سلسلة «صليل الصوارم» - الصادرة عن مؤسّسة الفرقان - التي بلغ نشيدها شهرة غير مسبوقة منذ صدورها في أيار 2014. ولفت



الإصدار الانتباه لاستخدامه مشاهد مصوّرة جواً وعمليات اغتيال وتضجير في العراق، ليحفز هذا مخيلة التنظيم إلى التمادي في عرض مشاهد التفنن في الفضاءات نظراً لما لاقاه الإصدار من شهرة. بعد ذلك بوقت قصير نشر التنظيم إصدار «واقتلوهم حيث ثققتموهم» الذي يظهر فيه سوق ما يقارب 1700 مجنّد من معسكر سبايكر العراقي وإعدامهم بطرق لم يسبق عرضها من قبل. وبين تموز وتشيرين الأول 2014 نشر التنظيم عشرات الإصدارات المروّعة التي أثار الرأي العام العالمي وحكوماته، وسلّطت الضوء أكثر على حقيقة التنظيم، كان منها نحر الصحفيين والرهائن الأجانب، وإصدار «لهيب الحرب»، وإصدارا «فشرّد بهم من خلفهم» اللذان تضمّنا مشاهد إعدام المئات من عناصر الفرقة 17 واللواء 93 في الرقة اللذين كان التنظيم قد استولى عليهما قبل أيام. وذلك بعد أن قامت صفحات «ولايات» التنظيم المنشأة حديثاً، ومناصروه الإلكترونيون على موقع تويتر، بنشر أخبار وصور عن هذه الأحداث، لتأتي الإصدارات مؤكدة على مصداقية التنظيم الذي يتفنن ملثموه في طرق قتل ضحاياهم، وتتروى كوادره في إنتاج مشاهد الحرق والإغراق والتضجير والتقطيع.

وخاصةً لذلك، يمكن القول إن مزايا الإعلام الداعشي تلخّصت في أنه ليس إعلاماً بالمعنى التفاعلي التقليدي للكلمة، بقدر ما يعدّ أداة تسويقية ودعائية وباتجاه واحد لمنتجات التنظيم العسكرية والأيديولوجية التي يقوى بقوتها ويضعف بضعفها.

بعد الخلاف بين القاعدة وداعش، بايع العديد من نشطاء إعلام التنظيم الأم داعش، منهم المصري الأصل نمساوي الجنسية محمد محمود، مؤسس الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية، واليميني همام الحميدي، منشئ مؤسّسة البتار الإعلامية، والتونسي بلال الشواشي، المتحدث باسم التيار السلفي الجهادي في تونس، وغيرهم.

## تراجع أداء التنظيم الإعلامي

باستثناء مجلة دابق ذات الجمهور المحدّد، لا يولي التنظيم اهتماماً بوسائل الإعلام المطبوعة بالقدر الذي تحظى به إصداراته المصوّرة والنشاط الإلكتروني الموازي. ولذلك سنغفل الحديث عن مجلة «النبأ» الأسبوعية التي بدأت توزّع في بعض المناطق بعد بداية العام، وكذلك عن أداء إذاعة البيان، كما لن يتسع المجال لتقييم إنتاج داعش الإنشادي في هذه المرحلة. وسنعمد على الإنتاج المصور والخطابي بشكل رئيسي لتقييم أداء التنظيم الإعلامي.

### • تقلص كمّ المواد المنتجة

انخفض إنتاج «مؤسّسات» التنظيم الرسمية والمناصرة منذ نهاية آب 2015 بشكل مطرد، وخاصّة المواد المتعلقة بمناطق مركز ثقل داعش الرئيسيّة في العراق وسوريا. وبحسب رصدنا لنتائج التنظيم، لم يتجاوز عدد المواد الإعلامية الشهرية المتعلقة بسوريا حاجز الـ900 في كانون الثاني من هذا العام، تستحوذ الصور على ما نسبته 75% إلى 80% منها. في حين شهدت المواد الفيلمية انخفاضا وصل إلى ما دون الـ140 مادة من سوريا، وما يزيد قليلاً على 400 مادة من عموم الولايات في شباط من هذا العام. أي أنّ التنظيم خسر ما يزيد على 45% من إنتاجه الإعلامي المتعلق بسوريا، الذي بلغ 285 مادةً فيلميةً تقريباً في حزيران من العام المنصرم.

### • تغيّرات في الخطاب

في آخر كلماته المسجّلة، التي نشرت في تشرين الأول من العام الماضي، ركّز الناطق باسم التنظيم، أبو محمد العدناني، على مهاجمة الفصائل الثورية السورية متوعداً إياها بالهزيمة إلى جانب الأميركيين وحلفائهم. وفي هذه الكلمة تحدّث العدناني من منطلق القوة، مذكراً أعداءه بمواقع استطاع التنظيم فيها تحقيق المكاسب العسكرية وقطع الرقاب، مبشراً بالنصر الموعود. لكن، ومع نهاية شهر كانون الثاني، أصدر التنظيم كلمةً صوتيةً لأبي بكر البغدادي، بعد غياب سبعة أشهر عن «الظهور» الصوتي، وما يقارب العام ونصف عن الظهور العلني الوحيد. في هذه الكلمة عكس البغدادي حالة التنظيم بعد التخلخل العسكري الذي أصابه بفقدان مناطق واسعة في الفترة السابقة، منها سنجار والرمادي وتل أبيض، في حين لا تزال العمليات العسكرية جارية لاستعادة المزيد من المناطق من يده. ولذلك بشّر البغدادي بمرحلة «تشتدّ فيها المحن» على دولته، داعياً رجاله إلى الثبات والصبر وإحدى الحسنيين، «العبارة التي كرّرها مرّات عديدة. وعلى مستوى الإعلام، لوحظ منذ ذلك التاريخ حجم التركيز على آثار قصف طائرات التحالف، وبالدرجة الثانية قصف الطيران الروسي والأسدي والتابع للحكومة العراقية. إذ بلغت نسبة المقاطع المرئية التي صورت آثار، ومن يقال إنهم ضحايا، الغارات أكثر من 20% من إجمالي التقارير المرئية التي نشرها التنظيم حتى نهاية شهر شباط من هذا العام. وقد جاء هذا النوع من المقاطع في سياق الاستعفاف والمظلومية، بعد أن كان يستخدم بشكل أكثر وضوحاً في السياق التحريضي، ومقدمة لـ«شفاء الصدور» الذي يحققه التنظيم عبر عمليات الإعدام. وربما للأسباب ذاتها لوحظ تركيز البغدادي في خطابه على القضية الفلسطينية، التي لا تأخذ حيزاً في الخطاب الإعلامي الداعشي عادة، وربطها بما تعاني منه «دولته» و«أمته» التي «لم يسبق في التاريخ أن اجتمع عليها العالم وأهل الكفر كما هو حاصل الآن»، كما جاء على لسانه.

### • تراجع «جاذبية» المحتوى

بتحليل الإصدارات المرئية التي نشرت منذ نهاية العام الفائت وحتى الشهر الحالي، تمكن ملاحظة تراجع المؤثرات الفنية والإخراج الدرامي القصصي الذي كان سبباً للفت النظر إلى إعلام التنظيم وتحويله إلى ظاهرة إعلامية عبر تصوير طرق الاقتصار الغريبة من الأعداء المهزومين، التي اعتاد التنظيم تضمينها في إصداراته وفيديوهات. في وقت استحوذت فيه التقارير الحربية التي تصوّر اشتباكات عناصر التنظيم وصدهم هجمات القوات المعادية لهم في العراق وسوريا، وإسقاط طائرات بلا طيار،



تجهيز النقطة الإعلامية ليتم افتتاحها

أنشئت أولى النقاط الإعلامية في مدينة الباب بريف حلب، لتتبعها أخرى في منبج، ثم نقل التنظيم تجربته إلى مدينة الموصل ليفتح فيها 6 نقاط بعد شهر من إعلان خلافته. ويقدر عدد النقاط الإعلامية في مختلف المناطق السورية والعراقية التي يسيطر عليها التنظيم بـ100 نقطة حالياً.

دخل تنظيم داعش عام 2015 وهو في أوج نجوميته، بفضل النجاحات العسكرية والإعلامية التي حققها في الأشهر الستة الماضية، والتي استطاعت استقدام ما يقرب من 5000 مهاجر إلى صفوفه حتى ذلك التاريخ، واستدعت إنشاء تحالف دولي جويّ ضده في أيلول 2014، منعه من التقدم باتجاه مدينة أربيل، وساهم في طرده من عين العرب/ كوباني مع نهاية الشهر الأول من 2015، ليكون ذلك عملياً أول نكوص عسكري وإعلامي جدي واجهه بعد إعلان دولته. لذا عاد التركيز مجدداً على إصدارات التنظيم المصوّرة التي كان أبرزها نحر الصحفي الياباني كنجي غوتو، وإصدار «شفاء الصدور» الذي تضمّن حرق الطيار الأردني الأسير معاذ الكساسبة، وصولاً إلى ذبح العمال المصريين الأقباط في ليبيا بعد ظهور بؤرة مبايعة للتنظيم هناك. لتبلغ آلة داعش الإعلامية ذروتها في ربيع وصيف 2015، بالتزامن مع احتلاله لمدينتي تدمر والرمادي، ما أعطى دفعةً جديدةً ووفر موادّ تسويقيةً قابلةً للاستثمار وإبقاء الأضواء مسلطةً على التنظيم لأشهر قادمة، وسط ترقب وهلع عالميين على مصير هذه المناطق وساكنتها. وبحلول حزيران، ووفق المركز الدولي لدراسة التطرف والعنف السياسي، استطاع التنظيم الوصول إلى إنتاج ما يقارب 2700 مادة إعلامية شهرياً، من جميع ولاياته، تستحوذ الصور على ما تفوق نسبته 75% منها، أي ما يعادل 2025 صورة شهرياً، في حين بلغت مواد الفيديو، كالتقارير العسكرية ونشاطات التنظيم «المدنية» واللقاءات والإصدارات، ما نسبته 25%، أي ما يعادل 675 مادة فيلمية، يضاف إلى ذلك 5% من المواد الصوتية والمطبوعة. مع تركّز نشاط الإعلام على مناطق داعش السورية والعراقية بنسبة تتراوح بين 85 و90%، وحضور هامشي لليبيا وسيناء.

إلا أن مؤشّرات على ضعف الأداء الإعلامي للتنظيم بدأت تظهر بعد منتصف العام. وقد تجسّدت في ما يلي:

• مقتل عددٍ من مسؤولي ورموز التنظيم الإعلامييين منذ تموز 2015. ومنهم: مسؤول تنسيق المؤسسات الإعلامية في داعش، المكتنى بأبي عبد الله، الذي لقي مصرعه إلى جانب نائب البغدادي فاضل الحياتي بغارة أمريكية في آب الماضي، ومحمد إموزي المعروف بالجهادي جون، إضافة إلى العديد من مسؤولي وتقنيي المكاتب والمؤسسات الإعلامية، كأبي معاوية الشامي وأبي هاجر العراقي وأبي إدريس العراقي، وغيرهم ممن نعتهم صفحات الدواعش على تويتر.

• تشديد الرقابة الإلكترونية على نشاطات أعضاء التنظيم على الشبكة. إذ أعلنت شركة تويتر الشهر الماضي إغلاقها أكثر من 125 ألف حساب تربطها صلاتٌ بالإرهاب منذ منتصف العام 2015، معظمها على صلة بداعش. وتراجعت أعداد حسابات الدواعش الإنكليزية على تويتر إلى أقل من 1000 حساب. فيما تتكفل فلاتر محرّكات البحث والتبليغات بحذف إصدارات التنظيم من مواقع تحميل الملفات المصوّرة أو السمعية أو المكتوبة، ما جعل مهمة إعادة رفعها ونشرها أكثر تعقيداً وصعوبةً على المناصرين الإلكترونيين. وهذا ما أدى إلى تحوّل وكالة «أعماق»، المؤسسة في نهاية 2014، إلى نقل أخبار التنظيم وتقاريره بلغته صحفية بعيدة عن مصطلحات التنظيم المعروفة والمحظورة في أن واحد.

• بلوغ النتاج الإعلامي الداعشي الحدود القصوى على مستوى الدموية والتقنية خلال السنة والنصف الماضية، بعد تراكم الإصدارات الاحترافية واستهلاك عمليات التقنن في القتل التي تعدّ أحد أهمّ عوامل تسليط الضوء على هذا النتاج ومن وراءه. زيادة الوعي بخطورة التنظيم وإعلامه عموماً.

يكمّل الأداء الإعلامي أداء داعش العسكري، ويتجاوزه في أحيان كثيرة عبر رسم صورة متقنة ومضخّمة لسلوك العصابات الكبيرة المسلحة التي استطاعت استغلال الفراغات الأمنية والعسكرية والاجتماعية لتصوّر نفسها كدولة. إلا أنّ التراجع العسكري أو الإعلامي قد يعيد الأمور إلى نصابها في الفترات القادمة، حتى لو استطاع التنظيم لفت الأنظار بين الحين والآخر.

على ما يزيد على 35% من المواد الفيديوية التي بثها التنظيم على مواقعه، وفي وقتٍ تقلصت فيه الإصدارات الخاصّة والاحترافية إلى أدنى مستوياتها، بأقل من 8% في شباط الماضي، لصالح ازدياد عدد التقارير «الخدمية» والدعوية ونشاطات دواوين التنظيم في مناطقه، بحسب رصدنا.

### • دعم إعلام التنظيم وإعلاميه

لوحظ في الأشهر الأخيرة تركيز التنظيم على دعم إعلاميّه من خلال توجيه العديد من الرسائل إليهم عبر الإصدارات المرئية والمكتوبة. إذ أنتجت العديد من الأفلام القصيرة، كـ«مجاهد أنت» الصادر عن المكتب الإعلامي لولاية حلب، و«مجاهد أنت أيها الإعلامي» الصادر عن ولاية صلاح الدين، وغيرها، احتوت على رسائل من مقاتلي التنظيم إلى إعلاميي المؤسسات والمناصرين التويتريين والإنترنتيين الذين «لا يجب أن يقللوا من أهمية عملهم لأنهم على ثغر عظيم من ثغور الدين»، حسبما ورد في أحد هذه الإصدارات. وفي إصدار آخر يعلن مقاتل «حاجة الدولة الماسّة إلى أولئك الرجال الذين يملكون القدرة الإعلامية»، داعياً «أي شخص قادر على حمل الكاميرا أن يتقي الله في نفسه ويدخل هذا المضمار». كما نشرت صفحات التنظيم مؤخراً إصداراً مصوّراً بعنوان «لهيب الأنصار»، موقعاً باسم مجموعة أطلقت على نفسها اسم «جيش أبناء الخلافة»، يتحدّون إجراءات حظر وحذف حسابات التنظيم وأنصاره من فيسبوك وتويتر، عبر ادعاء القدرة على اختراق صفحات أعدائهم أيضاً. وتضمّن الفيديو صورتين لكل من مارك زوكربيرغ -مؤسس فيسبوك- وجاك دورسي -مؤسس تويتر- وهما يتعرّضان لوابلٍ من رصاص المؤثرات البصرية الرديئة.

ويمكن تفسير تراجع أداء جهاز داعش الإعلاميّ بالأسباب

التالية:

• التقهقر العسكري الذي لحق بالتنظيم، والذي انتزع المصدر الرئيسي لتغذية البروباغندا بعد خسارة مناطق ومدن عديدة في العراق وسوريا، والضربات الجوية التي شغلت كوادر التنظيم بتغطية آثارها.



# من الكسوة إلى الميادين

فاروق محمد

ليلاً فقط، وفي الأيام غير القمرية، وبطاعة عمياء واستسلام لأوامر المهربين وجشعهم؛ نجحنا في اجتياز المسافات الأخيرة تحت سيطرة النظام. كنا ثلاثة فقط من مجموعة أكبر تفرقت في المرحلة الأولى من طريق رحلتنا الطويل من الكسوة في ريف دمشق إلى مدينة الميادين.



في الليلة الأخيرة، وهي الأكثر خطراً بين ثلاث ليالٍ من رحلتنا في مناطق سيطرة النظام، لم تكن بعيدين عن جنود الأسد. وكانت أضواء الثكنات العسكرية حولنا تبتّ المزيد من الرعب ونحن نهرول ونمشي ونزحف على الأرض المكشوفة للقناصين، حسب ما يأمرنا المهرب الشاب الذي كان ينبطح فجأة دون سبب واضح، فنقلده بشكل آلي، قبل أن نطلق من جديد في ساعات من حبس الأنفاس والرعب والانصياع للأوامر التي بدا بعضها متناقضاً بين الإسراع والتوقف في الوقت ذاته. وأخيراً جاء الضج مع تحذير المهرب: «لا تطلعوا أي صوت. بس وصلنا هناك الضو، ضو الجامع، نكون بأمان». وبالفعل، وبعد ساعة تقريبا، صرنا في مأمن نسبي من نيران جيش النظام. ومن الجامع، وعبر سلسلة تنقلات من مهرب إلى آخر على الدراجات النارية وبالسيارات، بين قرى لا تخضع لسيطرة مباشرة من أحد، تسهياً لحركة صهاريج النفط القادمة من دير الزور إلى السويداء؛ وصلنا «رجم البقر»، أولى القرى الواقعة تحت سيطرة تنظيم «داعش» شمال منطقة اللجاة على أطراف بادية الشام.

## في رجم البقر

بين يدي «الدواعش»، وخلال يومين من مكوثنا في هذه القرية البدوية الصغيرة، صرنا بحكم المعتقلين بانتظار حصولنا على إذن السفر. احتجزنا مع ثلاثين مسافراً آخر كانوا قد وصلوا قبلنا في غرفة كبيرة لا يسمح بمغادرتها إلا للصلاة في المسجد أو

لم تكن موافقة السفر أمراً شكلياً، إذ يخضع الجميع لجلسات استجواب عدة، تتكرر فيها الأسئلة ذاتها: «من أنت؟ وإلى أين تذهب؟ ولماذا؟ وهل قاتلت مع الجيش الحر أو جبهة النصر أو أحرار الشام؟». قد تؤدي أي زلة لسان أو هفوة بصاحبها، كما حدث مع شاب من الكسوة استعاد أمني «داعش» الملفات المحذوفة من جواله فعثروا على صورة له يحمل بندقيةً وبهيئة الجيش الحر. وأعيد شاب آخر، بعد وصوله إلى الميادين بيوم واحد، إلى رجم البقر بسبب خطأ ما في منحه الموافقة، وقال المسافرون إن «داعش» ستسجنه لمدة طويلة أو ستعيده إلى مناطق النظام التي جاء منها. ساعدتني وثائقي المزورة، وكذلك إتقاني اللهجة الشامية، في إخفاء هويتي، أنا ابن دير الزور المنشق عن جيش الأسد والمقاتل السابق في كتائب الحر بريف دمشق. وكانت حجتي للسفر، وهي الخلاص من سلطة النظام، مقنعة نوعاً ما للأمني الذي أمرني في نهاية التحقيق بدفع سبعة آلاف ليرة كنفقات استضافة، ودون وصل استلام قبض المبلغ المطلوب، ومنحني مع عشرة آخرين موافقة السفر.

انطلقنا مساءً في الحوض الخلفي لشاحنة، بعد تقسيمه بستارة قماشية إلى جزء للنساء وآخر للرجال. وخلال سبع عشرة ساعة إلى الميادين كشف أبو الورد عن عزمين مختلفين؛ الأول العودة ومبايعة «الدولة» بعد علاج زوجته في تركيا، والثاني السفر عبر البحر إلى اليونان فألمانيا، مثل ما «عمل كل الناس».

إلى الدكان القريب الذي يديره عناصر «داعش» لشراء ما يلزمنا وبأسعار فاحشة. كنا نتبارى في اصطناع التقوى والالتزام بالسنن، وفي الإصغاء للعضات الإجمالية من أمير الحسبة الفلسطيني وهو يكرر أولوية قتال المرتدين، من الجيش الحر والنصرة والأحرار والآخرين، على قتال النظام «النصيري» الذي لن يسقط إلا بعد القضاء على «الصحوات والمرجئة». دفعت الحماسة أحدنا إلى سؤاله مرة عن سبب قتالهم جبهة النصر، لينفعل أمير الحسبة بسرد طويل عن نقض البيعة والخيانة والغدر بالمهاجرين في إدلب وحلب والرقة. ولم يشفع لهذا السائل سوى اعترافه أنه جاهل بالحقيقة وضحية من ضحايا الإعلام الذي يشوه صورة «الدولة الإسلامية».

تدفع الانطباعات المرعبة عن «داعش» بعض المسافرين إلى المبالغة في التملق وإظهار الولاء. فيصير رجل يسمي نفسه أبا الورد على صواب ما تقوم به «الدولة» من محاربة الآخرين وخاصةً الجيش الحر، لأنه «أوسخ من الكل» حسب ما يقول أمام مخبري «داعش» الذين يراقبونا دوماً، ويصغون بانتباه لأبي الورد وهو الشاهد المزعوم على نهب الكتائب مزارع و«فلل» خان الشيخ. فيما يردد البعض الأخبار عن الأمان والراحة اللتين يتمتع بهما الناس تحت سلطة «الدولة». أما أنا فلم أجد سوى الأسئلة عن المسافات والجهات وأسماء المناطق المتبقية موضوع حديث في ساعات احتجازنا في غرفة «داعش» التي يسمونها مضافة المسافرين.



## عن الرداءة التي تحكم العالم

الفضيحة الأكبر لأول رئيس أسود في تاريخ الولايات المتحدة هي استسلامه الخسيس أمام روسيا في كل من أوكرانيا وسوريا، الأمر الذي سمح لقزم الكرملين أن يظهر بمظهر قائد دولة عظيمة ذات مصالح استراتيجية خارج المجال الحيوي لروسيا بعدما ضاق كثيراً منذ سقوط الإمبراطورية السوفييتية، وبعدها تدهورت أحوال روسيا نفسها إلى مجرد بلد نفطي متخلف من العالم الثالث.

أما إذا فتحنا ملف ما يسمى بعبء الفتح السياسي، فمن المحتمل أنه سيتفوق في التفاهة والوضاعة حتى على سفاح سوريا المعتوه. فقد بلغ الأمر بحاكم أم الدنيا أن يعرض نفسه للبيع «من أجل مصر» (طبعاً)، ربما ليقينه أنه لا يشكل صفقة رابحة حتى لو اشتراه أحد بثمن بكرة.

في عصور غابرة كان هناك حكام «عليهم القيمة» حتى لو كانوا دكتاتوريين، كجمال عبد الناصر أو الجنرال فرانكو أو ستالين أو تيتو أو حتى هتلر. أما في عصرنا فهناك أمثال طوني بلير الذي كان يرتشي من القذافي، والقزم الفرنسي ساركوزي، والإيطالي بيرلوسكوني، وبنائج الجرابيات نوري المالكي، وصاحب فسطاطي الخير والشر جورج بوش الابن، وغيرهم من الإمعات.

من المحتمل أن يكون هناك تفسير، أو أكثر، لصعود كل هذه الرداءة إلى مقدمة المشهد السياسي العالمي. لا بد، مثلاً، أن يكون هناك ثمن ما لانتقال الثروات الهائلة من أيدي بورجوازيين منتجين بنوا الحضارة الرأسمالية إلى أيدي مضاربي «الاقتصاد الافتراضي» في عصر العولمة، ببذخهم المجنون المناسب لمحدثي النعمة.

في العالم. ربما يشكل المرشح الجمهوري المحتمل للرئاسة الأميركية دونالد ترامب أحدث نماذج الرداءة التي تحكم عالمنا اليوم. قد لا تكون المشكلة في الرجل نفسه، فهو حر في البذاعات العنصرية التي يتفوه بها، بل في الجمهور الذي منحه تأييده ودفع به إلى صدارة السباق الرئاسي في الحزب الجمهوري. مع ذلك قد يكون لدى ناخبيه حكمة نجلها، من قبيل أنه أقل مرشحي الحزب الجمهوري رداءة وانحطاطاً.

أما الرئيس الحالي باراك أوباما، فهو نموذج مختلف تماماً عن زملائه في نادي الانحطاط السياسي عبر العالم. فبخلافهم، يتمتع الرجل بتقافة مرموقة ويمتلك كاريزما شخصية وموهبة خطابية لا جدال حولهما. أضف إلى ذلك أنه أنجز، في ولايته، نجاحات لا تنكر على صعيد الإدارة الداخلية لبلده. لكن وجه رداءته يظهر أكثر في السياسة الخارجية إذ بدأ أسير «مدونة سلوك» صارمة وضعت له منذ النصف الثاني لولاية سلفه الجمهوري جورج دبليو بوش تحت عنوان «تقرير بيكر - هاملتون» بشأن كيفية التعاطي مع إقليمنا الملتهب في مرحلة ما بعد احتلال العراق. فلم يخرج قيد أنملة عن توصيات التقرير المذكور الذي ينص على وجوب «الانخراط» مع إيران والنظام السوري. إلى درجة أنه بعدما تلمل قليلاً أمام هول مجزرة الكيماوي التي ارتكبتها نظام دمشق في الغوطة، وهدد بمعاقبته بصورة محدودة لا تؤدي إلى إسقاطه، سرعان ما تراجع عن هذه «الغلطة الفضيحة» واكتفى بسحب السلاح الكيماوي من يد المجرم وكأنه يشجعه، ضمناً، على مواصلة إرهابه بكافة الأسلحة الأخرى. بيد أن

في آخر ظهوراته الإعلامية، أتحفنا بشار الكيماوي بسلسلة جديدة من كلام المعتوهين الذي اشتهر به منذ ورث حكم سوريا عن أبيه. فقد ظهر، مثلاً، أن «السيادة» التي طالما شدد عليها



بكر صدقي

الناطقون باسم النظام إنما هي «نسبية» ولا ضير في التنازل عن أجزاء منها، قسراً بخروج مناطق شاسعة ومعابر حدودية ومطارات وقواعد عسكرية عن سيطرة قواته، وطوعاً بتسليم القرار إلى إيران وروسيا، وكرهاً بإناطة مصير سوريا، ونظامه ضمناً، بدول ما يعرف بمجموعة فيينا بقيادة واشنطن وموسكو.

في هذا الإطار جاء ردّه على سؤال الصحفي الألماني عما إذا كان قادراً على النوم، بعدما دُمّرت ثلاثة أرباع المدن السورية، ليقول إنه لا ينام لأن عليه أن «يواصل العمل» (على تدمير الربع المتبقي، كما يمكن أن يكون خطر في بال الصحفي الألماني بعد سماعه هذه الشناعة). بهذا المعنى يمكن القول إن الهدنة الأميركية الروسية التي فرضت عليه قد تمنحه وقتاً للنوم، بفعل البطالة الجزئية، ما دام لا يملك، كسائر البشر الأسياء، تلك الساعة الداخلية المنبّهة المسماة بالضمير.

غير أن هذا المسخ ليس نسيجاً وحده، وإن كان يتفوق حتى على نفسه في المدى الذي يمكن أن يذهب إليه أي من أشباهه الكثر من أصحاب البزات وربطات العنق ممن يتصدرون المشهد السياسي

# سورية «الروسية» أو كما يريدونها الروس!

■ أحمد عيشة



كانت الثورة السورية، بطرحها قضية الحريّة من قبل «الوافد» الجديد الذي كان غائباً لعقود عن المسرح، وأقصد الشعب بمختلف شرائحه؛ مقصداً وسبباً لتدخل الكثير من الدول الإقليمية والدولية في شؤونها، كل لغايته. لكنهم اشتركوا في غاية واحدة هي ألا تصبح سورية، بموقعها الجغرافي والسياسي، بلداً حراً يمتلك ناصية قراره.

وبين طريفي المعادلة كانت درجات الانحياز مختلفة، فإلى جانب قوى الثورة كانت المواقف والتصريحات وصراع المصالح وصولاً إلى حد «العداوة»، بينما حكمت القوى المساندة للنظام، وهي إيران وروسيا، حالة الوحدة لمصلحة بقاء الاستبداد وكسر الثورة.

لم تتخلف روسيا عن الدعم السياسي والعسكري للنظام منذ اللحظات الأولى عبر تغطيته في مجلس الأمن، فاستخدمت حق النقض لتفشل أي مساعي لإصدار قرار إدانة، ولم تنقطع عن تقديم الخبراء والعتاد العسكري. وبعد استخدام النظام السلاح الكيماوي ضد المدنيين في الغوطة في آب 2013، وقتل أكثر من (1300) إنسان، مما دعا أميركا إلى أن تحشد بعض أساطيلها مهددة بتوجيه ضربة للنظام؛ بادرت روسيا -وعبر تفاهم مع أميركا- بالإعلان من موسكو، على لسان لافروف وبحضور وليد المعلم، عن قبول دمشق بتسليم مخزونها من السلاح الكيماوي وموافقتها على توقيع معاهدة الحد منه، وكانت تلك أولى خطوات صنع «روسيا الجديدة» في سورية. ثم جاءت بعدها مباشرة الدعوات إلى مؤتمر جنيف2، الذي انعقد بتاريخ 22 لئ2 2014، كتكريس للمشاركة الروسية في صنع القرار السوري، بعد إيران، عندما جاء الرفض الرسمي السوري وتكررت القصة فأعلن لافروف، مرّة ثانية، عن مشاركة النظام في المؤتمر.

عقب تزايد دور إيران في سورية خلال العامين الأخيرين، ومع توقيعها الاتفاق النووي مع الغرب؛ اندفعت روسيا أكثر نحو التدخل المباشر في سورية لحسابات مصلحة إقليمية ودولية (شبه جزيرة القرم وأوكرانيا). فقامت بالتدخل

المباشر عبر عشرات الطائرات الحربية ومثلها من الاستطلاع، وبالتنسيق المباشر مع إسرائيل، ابتداءً من نهاية أيلول، بحجّة محاربة الإرهاب (داعش)، لكنها ركزت معظم غاراتها على مناطق الجيش الحر، فهجرت المدنيين بعد تدمير مناطقهم بشكل كامل، لتحزز تقدماً مؤقتاً على الأرض بمشاركة ميليشيات إيران الشيعية من لبنان وأفغانستان وغيرها. ومن جهة أخرى كان ظهور «قوات سورية الديمقراطية» التي أسهمت الولايات المتحدة في تأسيسها في أواسط العام الفائت، وعمادها الأساسي حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي وقواته العسكرية؛ فرصة مناسبة لتصفية حسابات روسية مع الجارة الشمالية (تركيا) عقب إسقاط الطائرة الروسية، محققة الحد من الدور التركي في سورية. فبادرت إلى دعم هذا الحزب سياسياً (المؤتمرات في موسكو ولبعض «المعارضين الوطنيين» السوريين)، وصولاً إلى افتتاح ممثلية له هناك كبديل عن قوى المعارضة العسكرية والسياسية التي تشكلت هيئتها في الرياض، والتي ضغطت موسكو بشدّة لإدخال ممثليها فيها ولم تنجح، فعمدت إلى عقد مؤتمر لهذه القوات في التاريخ نفسه في المالكية (شمال شرق سورية)، إضافةً إلى عمليات الاغتيال بعده (زهرا نعلوش).

جاءت جولة جنيف3 عقب اتفاق مجموعة العمل الدولية في فيينا لتكرس نجاحاً روسياً وتراجعا في مطالب الشعب

السوري في بداية العام الحالي. تزامنت الاجتماعات مع عمليات قصف مرعبة في جنوب وشمال البلاد، حيث استطاعت قوات النظام وحلفائه التقدم بحجّة فك الحصار عن نبل والزهران في شمال سورية، لتهجّر أكثر من 200 ألف من سكان الريف الشمالي لحلب في عملية تشبه كثيراً عمليات الإبادة والتطهير العرقي وترقى إلى جرائم الحرب. فتوقفت المحادثات في جنيف بعد محاولات روسيا تشتيت المعارضة وخلق أكثر من جهة تدعي المعارضة بغية إضعاف موقف هيئة التفاوض. واستطاع الوحش الروسي بعدها أن يرض شروط هدنة مع أميركا، بإقضاء كامل للدول الإقليمية، بعد أن أبعد حتى الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن. في هذه الفترة طرح بشار الأسد الانتخابات التشريعية في نيسان المقبل، ضمن هامش «السيادة» المسموح وكتوجه إيراني، بينما أعلنت روسيا أن الانتخابات في سورية لا بدّ أن تتم بعد الاتفاق على تعديلات دستورية تلي عملية التسوية، أي بعد الترتيب الروسي لسورية الذي يتضح من الوقائع أنه يحمل في طياته عملية تطهير عرقي وتحويل سورية إلى بلد مؤلف من جماعات دينية وقومية مختلفة تحكم روسيا بينها لمصلحة الأقليات بدكتاتورية أقل وتقاسم سياسي للسلطة بين المكونات، وصولاً إلى سورية -عذراً، روسياً الجديدة ولكن بدون ذيل الكلب، أو بذيل لا يتحرك.



# الحرب في سورية من منظور الشرطي أبي المجد

آن برنارد، هويدا سعد  
نيويورك تايمز  
14 شباط  
ترجمة مأمون حليبي

«لو أنني أعرف خاتمتي ما كنتُ بدأت»

كان تبادل الرسائل بيننا أمراً غير اعتياديّ، تطوّر على مدار أكثر من عام. أبو المجد رجل شرطة سوريّ كثيراً ما كان تم زجه كجنديّ في المعارك. كان يرسل لنا رسائل في أي وقت، مُحمّلة بأخبار من خطوط الجبهات، ويتذمّر من الدوريات المملّة تحت أشعة الشمس الحارقة.

الضخمة واتخذوا وضعيات هزليّة. بعد شهر من هذه الزيارة أرسل أبو المجد رسالته نصيّة يقول فيها «تحيااتي لكم». في ما بعد انشرح لنا وتكلم عن أشياء كان يفتقدها، كالرمان والعنب من التربة البركانية لقريّة أجداده في مرتفعات الجولان. وعندما أخذت الأحاديث تتعمّق، كان يتأرجح بين الافتخار بواجبه الوطني وبين الخوف والضجر - وحتى الغضب - من المظالم وعدم الكفاءة التي كان يشاهدها في مواصلة الحكومة الحرب.

بعد أن أصبح منتظم المراسلة معنا، انضمّ إلى عدّة مئات من المعارف الذين نتواصل معهم داخل سوريا بواسطة الهاتف ووسائل التواصل الاجتماعيّ المتنوّعة: منشقون عن الجيش، ومتمردون إسلاميون، وناشطون، ومسؤولون حكوميون، وأصحاب محلات، وأطباء، وقادة عسكريون من كل الأطراف. أشخاص يساندون الحكومة وأناس يشمئزون منها وآخرون رماديون يريدون فقط للحرب أن تنتهي. مكّنا أبو المجد - وهنا نستعمل لقبه ولا ننشر صورته

كنا قد التقينا أبا المجد قبل أكثر من عام، في رحلة إعلاميّة إلى تدمر في نيسان 2014. كنا بين آخر الصحفيين الذين زاروا المدينة وآثارها القديمة المهيبّة. كان أبو المجد وقتذاك في الرابعة والعشرين. كان جزءاً من مرافقة كبيرة تم فرزها كي تحرسنا - وتراقبنا. كانت تدمر قد فقدت مصدر رزقها الرئيسيّ، السياحة، وكان الرجال يجلسون هنا وهناك دون أن يكون لديهم ما يفعلونه. مُتشدّدو تنظيم الدولة الإسلاميّة كانوا على بُعد بضعة أميال فقط إلى الشرق، في حين كانت دبابات الجيش السوريّ تشغل القلعة الواقعة في أعلى الآثار. همست بعض النسوة لنا عن أقباء اختطفوا أو اختفوا لدى الحكومة بعد قمع عصيان محليّ. بعض مرافقينا كانوا متوترين، وحذقّ عددٌ من الباعة فيهم بعيون تخلو من المودّة.

بالنسبة إلى رجال الشرطة من ذوي الرتب الصغيرة كأبي المجد، كانت زيارتنا تسليّة نادرة. عندما وصلنا إلى منطقة الآثار تسلقوا الكتل الحجرية

في 19 أيار 2015 أرسل أبو المجد صورتين. أظهرته إحداهما في لباس فضفاض يدخن الأركيلة وهو يبتسم، كما لو أنّ صديقاً قد دخل للتوّ، وعلى الطاولة فنجانا قهوة تعلوهما الرغوة. كان على وشك الصعود إلى باص مُتجه إلى تدمر التي كانت تتهاوى تحت ضربات تنظيم الدولة الإسلاميّة. عددٌ كبيرٌ من جنود النظام كانوا قد لاذوا بالفرار، لكن أبو المجد وعدداً قليلاً من الجنود الآخرين كانوا قد تلقوا الأوامر بخوض ما كان يعتقد أنه معركة خاسرة. كان قد التقط الصورتين لهدفٍ خاصّ؛ «قد تكون هذه الصور هي الأخيرة». لم يتصل بنا بعد ذلك. بعد ستة أسابيع تلقى والداه اتصالاً من رجل قدّم نفسه على أنه جنديّ وحذر: «لا يخالّجكم الأمل»، ثم أغلق الخط. ذهب الأهل إلى مكتب أمني، وهناك سلمهم أحد المسؤولين قصاصةً مكتوبٌ عليها «مفقود». كانت القصاصة المؤلّمة تخفي حكاية مخيفّة عن سعي أحد المقاتلين اليائس من أجل البقاء، والصراع الذي اعتراه بين الواجب والخوف.

حرصاً على عائلته - من النضاد إلى حياة الجنود الحكوميين العاديين. فهو ينتمي إلى شريحة هامة هي الموالين السنة. تهيمن الأكرية السنية في سوريا على التمرد، ومنها أكرية عناصر الجيش الذين يؤدون الخدمة الإلزامية. كثير من المدنيين وموظفي الدولة المهاندين هم من السنة أيضاً.

## الموالي الهادي

ترعرع أبو المجد في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين، الذي يعيش فيه كثير من السوريين أيضاً. بعد وقت قصير من اندلاع الثورة لم تستطع العائلة البقاء في بيتها بسبب المواجهات، فانتقلت إلى حي آخر، ثم إلى حي ثالث. كان أبو المجد مولياً للنظام - ابن ضابط متقاعد برتبة صغيرة من الجيش - لكنه لم يكن شخصاً يعطي صفحته على فيسبوك بالعلم السوري أو بصور لمتمردين قتلى، ولا بعهود البيعة للرئيس الأسد. كان قد انضم

إلى وحدة من رجال الشرطة قبل الثورة بعام على الأقل. كان عمله ملاحقة تجار المخدرات والبغايا. لكن عندما ازداد ضغط الحرب على الجيش أرسلت كثير من وحدات الشرطة إلى المعركة. أرسل أبو المجد إلى حواجز على خط الجبهة، وكان يقوم بدوريات بحثاً عن ناشطي الثورة شرق مدينة حمص. مع ندرة المؤن والهبوط السريع في قيمة الليرة السورية كان أبو المجد يمزح بالقول إن راتبه الشهري، البالغ قرابة 100 دولار، يكاد لا يكفي لتزويده بتبغ المفضل بنكهة التفاح. كان واقفاً - سراً - في غرام ابنة عمه، لكنه كان قلقاً من أنه لا يستطيع تحمّل أعباء الزواج المادية. كانت العزلة تنهشه. كتب في أيلول 2014: «من فضلكم أخبروني بأخر الأنباء. ليس لدينا تلفاز هنا ولا كهرباء، فأنا أعيش في المنفى. أنا ميت، ميت». عندما حصل على إجازة وذهب إلى بيته في دمشق انتابته الغيرة من الجنود الذين يخدمون في العاصمة، فبوسعهم أن يتناولوا الشراب ويخرجوا مع النسوة ويستمتعوا بكهرباء منتظمة نسبياً، «كما لو أنهم في أوروبا».

أخبرنا مرة أنه حلم أن تنظيم الدولة قد قبض عليه. بعد ذلك بوقت قصير هاجم التنظيم حقل الشاعر للغاز وقتل عدداً من أصدقائه. في تشرين الأول كتب أنه كان في موقع بارد وماطر محاصراً من المتشددين، مُنتظراً وصول

التعزيزات لخمسة أيام. سألنا أبو المجد: «إن مت هل ستقولون (الله يرحموا)؟». باح لنا بذكرى لا تفارقه، تعود إلى عام 2012. كان يتحدث عبر الهاتف مع صديق يقتحم المتمردون لحظتها موقعه القتالي. «كنت أحس بالطرق على باب»، يتذكر أبو المجد. «أتعرفون ذلك الشعور، عندما شخص ما تعرفه وتحبه كثيراً سيقتل بعد بضع دقائق، وأنت لا تعرف ماذا تفعل؟». كان يشتهي من أن اللبنانيين في ميليشيا حزب الله التي تساند الحكومة يتفاوضون أكثر من المقاتلين السوريين، ومن أن رائحة الرشاش تفوح من الجنود على الحواجز «الشغالة»، بينما نحن على جبهة الصحراء «عم ناكل هوا».

## شيء اسمه الوطنية

بالرغم من إحباطاته كان أبو المجد يعتقد أن على «المرء ألا ينقلب ضد حكومته مهما فعلت. لا يوجد شيء يُسمى [مع] أو [ضد] بشار. هناك شيء يُسمى



الوطنية، القومية، الولاء؛ شيء يُسمى نحن سوريون وعلينا أن ندافع عن أمتنا. الواحد منا إما مع الدولة أو مع الجماعات الإرهابية». قال إنه يتمنى أن يستيقظ في بيته القديم فيجد أن الحرب كانت

حلماً. «لو أنني أعرف أن البحر عميق جداً ما أبحرت»، قال، مقتبساً عن الشاعر الدمشقي نزار قباني. «لو أنني أعرف خاتمتي ما كنت بدأت». في آذار الماضي تفاقم إحباطه. تشارك بالأيدي مع عمال إغاثة في دمشق قال إنهم كانوا يسرقون بمساعدة مسؤولين محلبيين. في الشهر التالي استشاط غضباً بعد أن أرسل ابن عمه إلى إدلب. اتصل ابن عمه به مخبراً إياه أنه محاصر مع تسعة آخرين. وعلى وقع إطلاق النار سأل ابن العم المحاصر أبا المجد: «ماذا ينبغي أن تفعل؟». طار صواب أبي المجد: «نحتاج إلى 10000 جندي، وليس فقط 10 جنود. تصوّري، إنهم يضعونهم في ذلك المكان ليلاقوا حتفهم».

## «إنني أنتحر»

في 14 أيار اجتاح مقاتلو الدولة الإسلامية مدينة السخنة. كان أبو المجد في إجازة عندما وصل المتطرفون إلى حدود تدمر. حاولت أمه أن تبقى في دمشق بإخفائها بطاقته الشخصية لكنه قرّر الذهاب في اليوم التالي، وسرعان ما علم أن وحدته سترسل إلى تدمر. قال القادة إنهم سيبلغون عن أي شخص يتخلف. «إنني أنتحر. إنني أمشي نحو الموت بقدمي، لكنني لا أستطيع فعل أي شيء. لا تسأليني عن وقت رحيلي، فأنا أكره هذا السؤال. ليتني لا أستيقظ غداً».

16 أيار: شارك بوست صديق على فيسبوك: «الله الله أيها الوطن. أبطالك في القبور، ولصوصك في القصور».

17 أيار: وصل إلى حمص وذهب إلى عرافة. شاهده العرافة ينتقل إلى مكان بهيج «أخضر تحيط به الأشجار، الجنة؟».

18 أيار: الغام أرضية على الطريق إلى تدمر أجبرت حافلته على العودة.

19 أيار: الصور الأخيرة.

بعد ذلك: لا شيء. تجمّد آخر ظهور لأبي المجد على وسائل التواصل الاجتماعي عند: «أنا في تدمر. أعزائي الغوالي، لا تحزنوا علي. إننا لله وإننا إليه راجعون».

## كيف انتهى الأمر

بعد سيطرة التنظيم على المدينة اختبأ أبو المجد في بيت عائلة يعرفها، لكنه غادر بعد 8 أيام حفاظاً على سلامة العائلة. استطاع أحد عناصر التنظيم التعرف عليه في أحد المساجد. أخبرتنا إحدى النسوة لاحقاً: «شاهدت عشرة مقاتلين داعشيين بوجوههم المخيفة. كان أحدهم يمسك السيف. قطعوا رأسه أمام عيني».



عمار بلال رئيس فريق السنديان



عادل صادق رئيس جمعية الأصالة

## جمعيات الأسد الخيرية في طرطوس

عشرون كرسياً متحركاً وأربعون عكازاً وثلاثمئة بطانية بين جديدة ومستعملة- هي شحنة المساعدات محل الخلاف والتنازع بين مجموعتين «خيريتين» من المجموعات الناشطة في رعاية الجرحى من جنود الأسد في ريف طرطوس.

الشحنة لفريق السنديان دون نقاش، و«علواه يبيعوها. ما إلكم علاقة»، أو «شحط الجرد - أي ريف دريكيش - كله!» وبالمثل قال فريق السنديان إنه تلقى، هو الآخر، تهديدات من مسؤولين أمنيين. تتدخل مجموعة ثالثة من طرطوس أيضاً، هي «جمعية الرضا الخيرية»، لتتشر بطاقة شكر للفريقين المتخاصمين، على جهود الأول في إقناع «الخيمة السورية» بإرسال الشحنة، وكرم الثاني بتخصيصه جمعية الرضا بـ ٤ كرتونات ألبسة وكرتونة أحذية و٤ بطانيات، وزعتها على خمسة وأربعين عائلة جريح. وهو العمل الخيري الثاني للرضا بعد تقديمها عشرات القوالب الإسمنتية لمقبرة قرية العوينية، حيث تنشط.

وسوى «الرضا» و«الأصالة» و«السنديان» (غير المرخص) تنشط مئات المجموعات «التطوعية» في ريف طرطوس، وتتركز أنشطتها المفترضة في مساعدة الجرحى وعائلات القتلى من جيش الأسد. وبمعزل عما اقترفه كل جندي قبل إصابته، تبدو صور الجرحى، التي تنشرها الجمعيات الخيرية في استعراضاتها المتسوّلة، مثيرة للشفقة ومهينة لهم إلى حد كبير، حين يظهرن بجوار عبوات الزيت وأكياس الأرز الصغيرة، بالعكازات أو على الكراسي المتحركة أو فوق الأسرة في غرف فقيرة جداً على جدرانها دوماً صور بشار الأسد.

علقت امرأة على إحدى الصور: «نياك، عنك جمعيات كثيرة بطرطوس ونحن باللازقية ما عنا».

يقول «فريق قامات السنديان التطوعي» إنهم وقعوا في خداع نصّابي «جمعية الأصالة الخيرية»، إذ اضطرهم الروتين والبيروقراطية - وهم غير المسجلين في وزارة الشؤون الاجتماعية- إلى الاستعانة بترخيص جمعية الأصالة لتلقي شحنة مساعدات كانت قد أرسلتها «الخيمة السورية» في أمريكا للفريق حصراً. وكان المفترض أن تسلمهم الجمعية هذه الشحنة فور وصولها، بحسب الاتفاق بين الجانبين، لكن «الأصالة» لم تفعل، بل أخفت الشحنة في مستودعها لتباع القطع الجديدة منها فيما يوزع المستعمل للدعاية وكفّ الألسنة.

تكذب الجمعية مزاعم فريق السنديان، وتنتشر وثائق تفصيلية بكل ما استلمته ووزعته على المستحقين. وتحمل الجداول المنشورة أسماء ضباط وصف ضباط وجنود تلقى كل منهم عكازاً أو كرسياً متحركاً أو بطانية. وتتقصد الجمعية إلحاق وصف «غير المرخص» باسم فريق السنديان انتقاصاً منه، في كل منشور لها على صفحتها في فيسبوك. ويرد فريق قامات السنديان التطوعي (غير المرخص) برسالة مفتوحة «إلى السيد رئيس الجمهورية العربية السورية»، يناشده فيها التدخل «لإعلاء كلمة الحق وإنصاف جرحانا وأسر الشهداء ممن كانوا ينتظرون معنا هذه الأمانة».

يتطور التراشق بين الجانبين وأنصارهما من الجرحى المزعومين، فيقول رئيس جمعية الأصالة إنه تلقى اتصالاً من مسؤولٍ أممي كبيرٍ يأمره فيه بتسليم

عضو الشبكة السورية  
للإعلام المطبوع



مجلة عين المدينة نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

3ayn-almadina.com  
info@3ayn-almadina.com

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.  
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

@3aynAlmadina

/3aynAlmadina





من داخل مدينة دير الزور - DzGraph